المختصرات والرموز في التراث العربي

د. ابراهيم السامرائي
عضو المجمع

يخيّل لكثير من القرّاء العرب ان الرموز والاختصارات شيء عرفناه في عصرنا هذا، وهو مما ترفده إلينا الحضارة الغربية المعاصرة. وربما كانوا على حق في هذا، ذلك أن جمهرة ما يرد الينا من هذا يدخل في باب الجديد.

لقد عرف القارىء العربي الرموز في علوم الرياضيات والفيزياء والكيمياء وسائر علوم الطبيعة وما يتصل بها من قريب أو بعيد، ثم تجاوز الأمر هذه الابواب من المعرفة الى ما ندعوه في عصرنا بالعلوم الانسانية. ان العلوم الاجتماعية من ادارة واقتصاد واجتماع وسياسة وتربية وعلم النفس وما يتصل بهذه الأبواب من قريب أو بعيد قد حفلت بالرموز والاختصارات، وربما تجاوز الأمر هذا فان مواد علوم اللغة المعاصرة ومواد الفلسفة وغيرها قد عرفت هذا الجديد الوافد. وهو من غير شك ضرورة قائمة قامت عليها الحضارة المعاصرة التي ترمي الى السرعة واليسر والوصول الى المراد بسهولة. لقد ألفنا المختصرات والرموز حتى تحول جمهرة المثقفين الى اعتبارها مواد قائمة بذاتها وكأنهم حين يستعملونها لا يخطر في بالهم أصولها الطويلة، فمختصر «اليونسكو» أو «الاونسكو» قد شاع على كل لسان، وهو يغني عن تركيب طويل يستهلك جهداً في استظهاره وحفظه واستعماله. ومن الخير أن يُعدَل عن التراكيب الطويلة الى هذه المختصرات، فكان لنا منها على سبيل المثال: «الألكسو» و «اليونسيف» و «الفاو» وعشرات غيرها.

إن هذه المختصرات بنيت من أصول انكليزية، فأنت تقول «اليونسكو» بدلًا من المنظمة العالمية للتربية والثقافة والعلوم. وأنت تلمح في المختصر «يونسكو» الاحرف الاوائل لاجزاء هذا المركب، وقل مثل هذا في سائر المختصرات الدولية وغيرها. ومن هنا

فرضت اللغة الانكليزية نظامها اللغوي في بناء المختصر، وهذا يعني ان الاحرف الأوائل أخذت من أجزاء التركيب اللغوي في الانكليزية فتبعه الفرنسيون على مضض لشيوعه وشهرته، ولو أتيح للفرنسيين أن يصنعوا مختصراً لهم دالًا على ما تدل عليه «يونسكو» لكان شيئا آخر. لكن الفرنسيين لم يحاولوا هذا، وهم كارهون أن يفرض عليهم مصطلح أصول نظامه من الانكليزية، ألا ترى أنهم لم يقولوا «ناتو» لمنظمة حلف شمال الأطلسي، بل قالوا «أوتان» الموافق لترتيب أجزاء هذا المصطلح في الفرنسية.

هذه مقدمة يسيرة بين يدي هذا الموجز لم يألفه قراء مجلة مجمع اللغة العربية، وذلك لان الكلام على الرموز والمختصرات يتصل بالعلوم الجديدة كالعلوم التطبيقية والاجتماعية. غير أني أود أن اقول: إن مادة المصطلح في عصرنا تؤلف علماً جديداً هو «علم المصطلح» وهو شيء يدرس في الجامعات وتؤخذ فيه الدرجات العلمية كالماجستير والدكتوراه، وكما أن هنا ما يدعى «بنك المعلومات» هنالك أيضا، «بنك المصطلحات» والمصطلح في عصرنا شيء يزداد في كل سنة بحسب تطور البلدان وتقدمها، ففي الولايات المتحدة الامريكية، يجدّ في كل سنة ما يقرب من عشرين ألف مصطلح، وشيء يقرب من هذا في البلدان الغربية واليابان. ولا بد أن يكون شيء من هذا لدى سائر البلدان الاخرى التي تفرض الحاجة عليها ان تفيد من هذا الجديد. ان الكثير من هذه المصطلحات يصار فيه الى الاختصار للاسباب التي عرضنا لها.

ونعود الى العربية التي استقبلت هذه المختصرات الاعجمية استقبالا حسنا، فلم تبتئس بها، بل أخذتها وعرّبتها حتى صارت كأنها كلم عربي، ولنا أن نقول: إن تصديرها بالالف واللام، وهي أداة التعريف في العربية، دليل على أنها تحولت الى العربية فصرنا نقول «اليونسكو» و «الالكسو» و «الفاو» وغيرها.

إن في هذا الوافد اللغوي الجديد إثراء للعربية، وان كان مفروضا عليها بسبب الضرورة والحاجة أقول: ان الضرورة والحاجة تفرض علينا في كل عصر أن نصنع جديداً مولّداً، وهذا الجديد المولّد يدخل نطاق اللغة شئنا أم أبينا.

وإني لذاكر من هذا المولد الكثير مما اخترعه أهل الحاجة حين جدّت علوم في التاريخ الاسلامي. ومن ذلك مثلا أننا نجد المحدّثين (رجال الحديث الشريف) يروون

الحديث بالتواتر. فيبدأ المحدث يقول: أخبرنا محمد بن زيد مثلاً، أخبرنا علي بن الحسن، اخبرنا زيد بن النعمان.....ويستمر في إيصال الخبر حتى يصل به مثلا الى علي بن ابي طالب فيقول: اخبرنا علي بن ابي طالب عن رسول الله ﷺ قال.....

إنك تجد قول المحدث: «أخبرنا» يتكرر كثيرا، ولتخلص من التكرار الممل جعلوا «أنا» بدلًا من «أخبرنا» أو انبأنا، فيكون تواتر الخبر على النحو الآتي:

أخبرنا محمد بن زيد، أنا علي بن الحسن، أنا زيد بن النعمان.....عن رسول الله ﷺ ....

أقول: إن لجوء المحدّثين الى هذه الصيغة، وهي «أنا» بدلًا من «أخبرنا» أو «أنبأنا» شيء حسن دلّ على ان الباحثين القدامى في الحديث الشريف كانوا أهل علم جيد يُراد ان يوصل إليه بطريق حسن فكان هذا «المختصر».

وقد ادرك هذه الصنعة الحسنة المؤرخون الاوائل الذين رووا الاخبار متواترة على طريقة رجال الحديث فتابعوهم في هذا الاختصار. وليس غريبا ما صنعه هؤلاء، ان كثيراً من المؤرخين هم محدّثون أيضا، ومن هؤلاء المؤرخ الطبري واليعقوبي والمسعودي وغيرهم.

ولنقف وقفة أخرى على هذه التجربة التي وصل اليها المحدثون والمؤرخون فنجد أن الحديث مثلا لا بد أن ينتهي الى الرسول، ولا بد هنا من الصلاة والتسليم فكانوا يثبتون عبارة الدعاء بالصلاة والتسليم وهي ﷺ. ولتكرار هذه العبارة في كتب الحديث والتاريخ التي هي فرض عين، صاروا يقصرّون في رسمها بأحرف تخالف الحروف السائرة في الكتاب مثلًا فترسم على هذا النحو ﷺ ثم تجرأ آخرون في حقبة متأخرة فاختصروها رسماً فقالوا (صلعم) وهي اختصار لـ ﷺ.

أقول: إن هذا الاختصار، وإن كان خاصاً بالطبع والرسم، ولا يقال في النطق، دليل على ان الباحثين كانوا يستشعرون الحاجة الى المختصرات ثم إنهم جروا في هذا السبيل من الاختصار حتى حولوه رمزاً قائماً على حرف واحد فأثبتوا بعد ورود «النبي» أو اسمه في النص الحرف (ص) يرمز الى جملة الدعاء المتقدمة، وأهل الحفاظ على الاصول لا يرضون هذا الاختصار في مقام الرسول الكريم.

وقد رأيت في مخطوط قديم لفظ « تع » ترمز الى « تعالى » وهي لفظة التعظيم للفظة الجلالة (الله) .

ومثل هذا قولهم : (ر ح) بعد الأعلام كأن يقال : قال محمد بن زيد « ر ح » والراء والحاء اختصار لقولهم « رحمه الله » وهذه مما يلجأ إليه عند التكرار . ومثله ايضاً « رضه » بعد الأعلام ايضا ، وهي اختصار لقولهم : رضي الله عنه ، وكذلك قولهم « عم » اختصار لقولهم : « عليه السلام » .

ولنعد الى المختصرات الحديثة لنقول : إنها صنعت على طريقة « النحت » الذي نعرفه في العربية ، وهو أخذ الحرف الأول من كلمات عدة لتركبّ وتُنحت فتكون « أونسكو » مثلا .

أقول : وهذا النحت عرفته العربية منذ أقدم العصور فقالوا :

« الحوقلة » : وهي اختصار على طريقة النحت لقولهم : « لا حول ولا قوة إلا بالله » .

و « البسملة » وهي نحت واختصار لقولنا « بسم الله الرحمن الرحيم » .

و « الحمد لة : وهي اختصار لقولنا : « الحمد لله »

و « الحيعلة » وهي اختصار لقولنا : « حيّ على الصلاة » .

و « السبحلة » وهي اختصار لقولنا : « سبحان الله » .

وليست « الابجدية » إلا من « أبجد » وهو مجموع أحرف الهمزة والباء والجيم والدال . وهذا النظام في ترتيب الحروف العربية غير النظام الهجائي . وقد أخذ منه المركب الاول « أبجد » فصار كلمة واحدة ، ألا نرى أن الذي سمّى كتابه « أبجد العلوم » [1] جعله اسماً واحداً . ومن هنا جاءت « الابجدية » للدلالة على نظام خاص في ترتيب الاصوات .

وقد أمدّ النحت ، وهو ضرب خاص من التركيب ، العربية بكلمات ذوات قيمة اصطلاحية ومن ذلك مثلًا :

---

(١) أبجد العلوم « كتاب في تصنيف العلوم لصديق حسن خان (المطبعة الصديقية في بهوبال – الهند) سنة ١٨٥٨ . وقد اعيد طبعه في استانبول ١٩٤١– ١٩٤٣

«الهُوِيّة» وقد أخذت من الضمير «هو» في العربية، وحُمِّلت المعنى المعروف لها.
و«الماهية» وقد أخذت من جملة هي قولنا «ما هو» أو «ما هي»، ليس على سبيل الاستفهام بل على سبيل الخبر، «فالماهية» تعني: الذي هو، والذي هي وفي باب الفلسفة نجد «الإنّيّة» وهو مصطلح من «إنه» اي حقيقة الشيء وجوهره وكذلك «الأيسية» وهي الوجود.
و«الليسية» وهي العدم.
وحقيقة هذين المصطلحين قائمة على كلمة «أيس» بمعنى الوجود.

فإذا قلنا: «الليسية»[1] فكأنها عدم الوجود. ومن هنا لا بد لنا ان نعرض لما كان من علم النحاة الاوائل.

قال الخليل في «ليس» انها مركبة من «لا» و «أيس» فطرحت الهمزة وألزمت اللام بالياء[2] وهو قول الفراء ايضا، واستدلوا بقول العرب: ائتني به من حيث أيس وليس، أي من حيث هو ولا هو[3].

ثم إننا نجد أن «ايسان» لغة في «انسان»[4].

أقول: وقد أفادت العربية المعاصرة في اداة النفي «لا» فنحت منها وما يليها كلمات هي في حقيقة الامر اختصار كقولهم: اللاشعور واللاوعي، وذهب أهل الفلسفة الى اللازمان واللامكان. وتصدير هذا الكلم بأداة التعريف يشير الى هذه الفذلكة اللغوية.

ومن هذا ايضاً كلمة «الفذلكة» التي دخلت في لغة أهل المنطق وأهل الرأي وجمعت جمع تأنيث فقالوا «فذلكات» وهي من كلمة «فذلك» للاشارة التي تشير الى نهاية أمر أو مسألة فيقال: فذلك الوجه مثلا، ولما تكررت كثيرا في كتاباتهم صنعوا منها «فذلكة» للاشارة الى رأي خاص أو فهم خاص.

---

(١) جاء في تراث الكندي الفيلسوف «رسالة الايسية والليسيّة» انظر مؤلفات الكندي لمكارثي.
(٢) لسان العرب، «ايس وليس».
(٣) تاج العروس، «ايس و ليس».
(٤) قد يصرفنا هذا الى الذهاب بعيدا عن مادتنا في المختصرات ولكني أشير الى أن «لا» للنفي قد ركبت في كلم فجاء منه معنى آخر.

ان تكرار الكلم يدفع الدارسين في كل عصر الى الافادة منها في توليد مصطلح فقد قالوا :

العنعنة » وهي مأخوذة من لغة المحدثين في اثباتهم للحديث فهم يقولون مثلا :
روى محمد بن زيد عن سليمان بن محمد عن سويد بن مالك عن....
وفي هذا نجد الاداة « عن » تتكرر كثيراً فقالوا : العنعنة .

ونعود الى الرموز وهو وضع حرف من الحروف للدلالة على أمر أو مسألة أو فائدة ، ومن ذلك ما نجده في الكتب القديمة المشتملة على أصول من النصوص ، ثم يعقب ذلك شروح لها ، فقد أثبتوا : « ص » رمزاً للاصل ، ثم أعقبوه بـ « ش » رمزاً للشرح .

ثم نجدهم يثبتون نصاً لاحد العلماء حتى اذا انتهوا منه اثبتوا « ا هـ » اشارة الى الانتهاء .

ونجد في مصطلح مجد الدين الفيروز أبادي صاحب « القاموس » مادة ممتعة فقد استعمل الحرف (ع) للدلالة على الموضع والحرف (د) للدلالة على البلد ، والحرف (ة) اي تاء معقودة للدلالة على القرية ، والحرف « ج » للدلالة على الجمع ، والحرفين (ج م) ليغنيا عن قوله : والجمع معروف ».

ومثل هذا ما نختم به مواد عدة فنذكر شيئا منها ثم نذيل ما ذكرنا بالاحرف (الخ) نريد بها « الى آخره ».

وقد تجد الرمز في حديث الناس اليومي ، وفي لغتهم الدارجة ، فأنت تسمع من يقول : (س) من الناس يقول كذا وكذا . وليس من شك أن هذا تحدّر الى اللغة الدارجة لدى المتعلمين من لغة « الرياضيات » و « س » في الرياضيات مجهول (١) .

وفي العربية القديمة أن المجهول الذي لا يعرف هو : هيّان بن بيّان ، أو هَيْ بن بَيْ (٢) .

---

(١) وفي علم الجبر : الجيب والجيب تمام ، والظل والظل تمام وغيرها ، ولكننا استعملنا لها رموزا فقلنا « جا وجتا » « وظا ، وظتا » والاهتداء الى الرمز كان جريا على استعمال الغربيين الذين تحولوا من الاسم الى الرمز حين أخذوا هذه المواد من العرب ، وأصل الجيب والجيب تمام مما أخذه العرب من الهنود ، وهذا ما افادنيه الاستاذ الدكتور احمد سعيدان والاستاذ الدكتور عبد المجيد نصير

(٢) انظر : لسان العرب .

وكان أول تجربة في اتخاذ الحروف رمزاً ما ورد في لغة التنزيل في فواتح السور نحو قوله تعالى :

الم : وهي أول سورة البقرة ، وأول سورة آل عمران ، وأول سورة العنكبوت ، وأول سورة الروم ، وأول سورة لقمان ، وأول سورة السجدة .

المص : وهي أول سورة الاعراف .

ألر : وهي سورة يونس ، وأول سورة هود ، وأول سورة يوسف ، وأول سورة ابراهيم ، وأول سورة الحجر .

ألمر : وهي أول سورة الرعد .

كهيعص : وهي أول سورة مريم .

طه : وهي أول سورة طه .

طسم : وهي أول سورة الشعراء وأول سورة القصص .

طس : وهما أول سورة النمل .

يس : وهما أول سورة يس .

ص : وهو أول سورة ص .

حم : وهما أول سورة غافر ، وأول سورة فُصلت ، وأول سورة الشورى ، واول سورة الزخرف ، وأول سورة الدخان ، وأول سورة الجاثية ، وأول سورة الاحقاف .

عسق : وهي الآية الثانية من سورة الشورى .

ق : وهو أول سورة ق .

ن : وهو أول سورة القلم .

أقول : وقيل في دلالة هذه الحروف أقوال عدة ، واسترجح أهل العلم الرأي القائل : انها رموز لمعاني القرآن أي إن لغة التنزيل كانت من هذه الحروف وما رمت إليه في دلالاتها العليّة .

وتعلق المسلمون بلغة التنزيل وعكفوا عليها دارسين ومستفيدين يرجون في خدمتها لقاء الله ، وكان من ذلك ان اتخذوا بعض هذه الحروف اسماء لهم نحو طه ويس[1] ،

---

(١) وجاء من فرائد العربية أن « يس » تفيد : يا انسان . أقول : لعل هذا من « ايس » الذي يفيد الانسان ، وقد قالوا : ايسان نعة في انسان .

ولم أقف على هذا في درس الأعلام إلا في أعلام الرجال المتأخرين ابتداء من القرن الحادي عشر.

وقد تعلق المسلمون من غير العرب بالعربية لأنها لغة القرآن فكان السين والشين والنون من اسمائهم فقد ورد في أسماء المحدثين محمد بن عبد الله بن سين. وقد عرفت افغانيا كان اسم ابيه «شينا» وهو محمد بن شين.

وقد ورد ذو النون لقب يونس، ثم تحول الى علم طوال العصور. وما زال معروفاً. ومن الطرائف أني تسلمت رسالة من رجل باكستاني دُعي «نون والقلم».

«والنون» في العربية الحوت، وهو كذلك في العبرانية، والبابلية القديمة. ومن فوائد العربية ان «النون» ينصرف الى الدواة ايضا.

والقاف في العربية جبل اسطوري من زمرد يحيط بالارض.

والجيم: الابل المغتلمة. وقالوا ايضا «الديباج» والى هذا ذهب ابو عمرو الشيباني حين سمّى كتابه الجيم.

وقد عرف العرب الرمز واستعملوه في المجالات الفنية، وربّما ظن المعاصرون ان استعمال الرموز مما جاءت به العصور الحديثة، ولكننا نقرأ في كتاب الوزراء للصابي [٢] فنجد الاحرف الرموز التي اقتطعت من كلمات لتشير الى فائدة خاصة. لقد ورد النص في معرض الكلام على «البرجاس»، وهو غرض يرمى في الهواء على رأس رمح أو نحوه وكلمة «البرجاس» معربة عن أصلها الفارسي «برجاس» ومعناها هدف السهم كما ذكر أدي شير في «كتاب الالفاظ الفارسية المعربة» [٣] وفي هذا ذكر الصابي: «...

فإن كان يرمي (اي المتسابق الرامي) رميا جيدا، وهو متمكن من نفسه، ومستقر في سرجه، ومصيب في رميه، عُلّم على اسمه «ج» وهي علامة «الجيد» ومن كان دون ذلك عُلم على اسمه «ط» وهي علامة «المتوسط» ومن كان متخلفا لا يحسن أن

---

(٢) هو هلال بن المحسّن بن ابراهيم بن هلال الصابي الحراني، أبو الحسين، وقيل: ابو الحسن. مؤرخ بغدادي وهو من الادباء الكتاب اسلم في آخر عمره واشتهر اديباً وهو على المجوسية ولي ديوان الانشاء، وتوفي سنة ٤٤٨هـ. انظر: تاريخ بغداد ٧٦/١٤، والمنتظم ١٧٦/٨

(٣) كتاب الالفاظ الفارسية المعربة لأدّي شير.

يركب فرسه، أو يرمي هدفه عُلم على اسمه « د » وهي علامة « الدون » (١).

أقول: وهذا النص يظهر تقدم ادارة المرافق في نظم الدولة وقوانينها. قد يقال: ليس هذا شيئا كبيرا، غير أني أقول: إن هذا يعني ان مجتمع الدولة العباسية في القرنين الرابع والخامس قد تطوّر وأدى به التطور الى الوصول الى الاختصار والايجاز وذلك لأن الامور حين تعقدت فكروا في التيسير فاهتدوا الى استعمال الرمز بالاحرف. إن هذا غير بعيد عمّا يزاول في عصرنا في أساليب التربية الحديثة في مادة « الامتحانات ».

ولنعد الى نص الصابي لنتابع هذه التجربة الفنية فنقرأ:

« ..... ثم يحمل بعد العرض والامتحان الى كتّاب الجيش ليتأملوا حليته.

ويقابلوا ما عندهم من صفته لئلا يكون بديلاً أو دخيلاً، فاذا تكامل عرض أصحاب القائد سليمان ليدفعها من وقتها الى الكاتب، ويميز ما فيها من أرباب العلامات، ويُفرد لكل صنف منهم جريدة، واذا عمل الكاتب من ذلك ما يعمله، قابل عليه بنفسه لئلا يتم على عبيد الله مغالطة فيه، ثم اخذ الجرائد المبيّضات المجرّدات وسلّم الى عبيد الله ذات العلامات، وكل هذا من غير أن يعلم القائد وأصحابه بما يجري منه، ثم يخرج كل جريدة الى مجلس قد أفرد لذلك الصنف، وجعل شهر الذين ارتضاهم وأمضاهم تسعين يوما، وسماهم عسكر الخاصة.

اقول: هذا مصير الفائزين برتبة « ج » اي « جيد » وقد رأينا كيف سلك بهم من الامتحان الى المقابلة بين العلامات، وما كان لكل منهم في (جريدته) والمراد بها ما يسمى في عصرنا « الملف او الملفة المشتملة على الوثائق اللازمة. ثم ينتهي الامر بالتزام الناجحين في مرافق الجند.

ولنعد الى كلام الصابي لنرى ما يكون من أمر الناجحين برتبة « ط » اي « المتوسطين » فنجده يقول:

..... وضم المتوسطين الى بدر (وهو أحد رجال الخليفة العباسي المعتضد ليكونوا في شحنة طريق خراسان والانبار ودعاهم عسكر الخدمة، وجعل ايام شهرهم مائة وعشرين يوماً وأمر عبيد الله بن سليمان بأن يرسم الطبقة « الدون » بالخروج الى أعمال

(١) كتاب الوزراء للصابي ص ١٧ – ١٨.

الخراج للاستحقاق على حمل الأموال بعد أن يسقط منهم «الراضة» والأثبات » المتماكلين للرعية ، وأن يسبّب أموالهم على النواحي في دفعتين من السنة [1].

أقول : و «الراضة» و «الأثبات» من أصناف العاملين الاداريين ، وأما «الشحنة» فقد نستطيع أن نقربه الى ما هو أمين العاصمة في عصرنا . وقد عرف مصطلح الشحنكية في العصور المتأخرة ، وهي وظيفة الشحنة

وهذا النص يعطينا صورة عما يمكن أن ندعوه تجربة تربوية عملية قديمة جرت في آخر القرن الثالث الهجري .

خاتمة :

هذه نبذة يسيرة تيسرت لدي فيما يتصل بالمختصرات والردود .

---

(١) المصدر السابق